﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: 14 - 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

بَيانُ عِظَمِ حَقِّ الوالِدَيْنِ

لمّا ذكَرَ اللّهُ تَعالى ما أوصى به لُقْمانُ ولدَهُ مِن شُكْرِ اللّه سُبْحانَهُ، وهُو المُنْعِمُ وحدَهُ، لا مُنْعِمَ عَلى الحقيقَةِ إلّا هُو، وذكَر ما في الشِّرْكِ مِنَ الشَّناعة والبَشاعَةِ؛ أتبَعَهُ سُبْحانَهُ ببَيانِ وصيَّةِ لُقْمان للوَلَدِ بوالِدِهِ؛ لكونِه مُنْعِمًا مِن جهَةِ جَعْلِ اللّه تَعالى لَهُ سببَ وجودِ الولَدِ، وذلكَ للاعتراف بالحَقِّ لأهلِه، والإعلام بأنَّه لا يَشْكُرُ اللّهَ تَعالى مَن لا يَشْكُرُ النّاس، والتفخيم لحَقِّ الوالِدَيْن؛ لكَوْنِه قَرَنَ عقوقَهُما بالشِّرْكِ، والإعلام بأنَّ الوفاءَ شَيْءٌ واحِدٌ متى نَقَص شيءٌ منهُ؛ تَداعى سائِرُه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: (وصي) تدورُ تَصْريفاتُها عَلى وصْلِ شيءٍ بِشَيْءٍ[2]، أو على التزامِ الأشياءِ بعضِها ببعضٍ، كالمَحْزومِ بالجَريد والنَّبات المُلْتَفِّ، ومِن هذا الالتزام جاءَ مَعْنى الإيجابِ في الوَصيَّة؛ لِكَوْنِها عهدًا وتَكْليفًا وإلزامًا[3]، ومِن مَعْنى الوصلِ سُمّيت الوَصيَّةُ بذلك؛ لأنَّ الموصي قَد وصلَ ما كانَ في حَياته بِما بعدَهُ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 162 - 163.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وصى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وصى).
(4) النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، ص: 241.

وقولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾، أي: عهدنا إليهِ، وجَعَلْنا ذلكَ وصيَّة عندَهُ يُسْأَلُ عَن القيامِ بها[1].

2) ﴿وَهْنًا﴾: (وهن) تدلُّ كثيرٌ مِن اشْتِقاقاتِها عَلى مَعْنى الضَّعْفِ، يُقال: وهَنَ الشَّيءُ يَهِنُ وهْنًا، أي: ضَعُفَ[2]، والوَهْنُ: الضَّعْف في العَمَل والأمر ونَحْوه[3].

وقولُ اللّه تَعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، أي: ضَعْفًا عَلى ضَعْفٍ، والمَعْنى: لَزِمَها لِحَمْلِها إيّاه أن تَضْعُف مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وقالَ بعضُ أهلِ العِلْمِ: جَهْدًا عَلى جَهْدٍ[4].

3) ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: (فصل) تدلُّ تصريفاتُها على تمييزِ شيءٍ مِنْ شيءٍ وإبانَتِه عَنْهُ، ومِنْهُ سُمّيَ الحاكِمُ فَيْصَلًا؛ لأنَّه يُميِّزُ الحقوقَ، وسُمّيَ اللِّسانُ مِفْصَلًا؛ لأنَّ به تُمَيَّزُ الأمورُ[5].

الفَصْلُ: إبانَةُ أحَدِ الشَّيْئَيْنِ مِنَ الآخَرِ، حتَّى تكونَ بَيْنَهُما فُرْجَةٌ[6].

والفِصالُ: الفِطامُ[7]، ومنهُ قَوْلُهُم: فَصَلتِ المرأةُ ولَدها؛ إذا فَطَمته، فاستقَلَّ عَنْها، وهُوَ المراد بقول اللّه ﷻ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[8].

4) ﴿جَٰهَدَاكَ﴾: (جهد) تدلُّ تصريفاتُها على المشقَّةِ[9]، ويأتي بمعنى الطّاقة والوُسْعِ[10]، والمُجاهَدَةُ تُطلَقُ في الشَّرْعِ على اسْتِفْراغِ الوُسعِ في مدافعة العَدُوِّ، وهي ثلاثةُ أضربٍ: مجاهدةُ العدوِّ الظّاهرِ، ومجاهدة الشَّيطان، ومجاهدةُ النَّفس[11].

وغالبُ مُراداتِ الشَّرعِ في الجهادِ: أنَّهُ محاربةُ الكفّار، وسُمّيَ بذلكَ؛ لِما فيهِ مِن اسْتِفْراغِ ما في الوُسعِ والطّاقةِ من قولٍ أو فعلٍ[12]، ولِما في ذلك مِنَ المشقَّةِ على النُّفوس،

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 648.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وهن).
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (وهن).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (وهن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فصل).
(6) الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (فصل).
(7) أبو عبيد الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث: (فصل).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فصل).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جهد).
(10) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (جهد).
(11) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (جهد).
(12) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (جهد).

و﴿جَٰهَدَاكَ﴾ في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾، أي: بَذَل الوالدانِ الجُهْدَ، واسْتَفْرَغا الوُسْعَ على أن تتلبَّس بالشِّرْكِ.

5) ﴿مَعۡرُوفٗاۖ﴾: (عرف) تدُلُّ تَصْريفاتُها على أصْلَيْن اثنَيْن، أحدهما: تتابُعُ الشَّيء مُتَّصلًا بعضُه ببعضٍ، والآخَرُ: سكونٌ وطُمَأنينةٌ، ومِن هذا: العُرْفُ، وهو المَعْروفُ، سُمّي بذلكَ؛ لأنَّ النُّفوس تَسْكُنُ إليهِ، وتَطْمَئِنُّ به[1].

وحقيقَةُ المَعْروفِ شَرْعًا: ما عُرِف حُسْنُه شرعًا[2]، والمعروفُ - في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ - هو الأمْرُ المُتعارَفُ الذي لا يُنْكَر، فهُو الأمر الحسَنُ، والمَعْنى: صاحِبْ والِدَيْكَ صُحْبةً حسنَةً[3].

6) ﴿أَنَابَ﴾: (نوب) تَدُلُّ تَصْريفاتُها عَلى اعْتيادِ المكانِ والرُّجوع إليه، ومِنْهُ سُمّيت النَّحلُ نُوَبًا؛ لكونِها تَرْعى، ثُمَّ تعود إلى مكانِها[4]، ومنهُ قولُهُم: أنابَ فلانٌ إلى اللهِ سُبحانَهُ إنابَةً، فَهُو مُنيبٌ؛ إذا نابَ، ورجعَ إلى الطّاعَة[5]، وهُو المَعْنى الواردُ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾، أي: رجَعَ إليَّ، وأقبلَ عَلَيَّ بالطّاعةِ[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

الوَصيَّةُ بِبِرِّ الوالِدَيْنِ والإحْسانِ إلَيْهِما

أمَرْنا الإنسانَ ببرِّ والدَيْهِ والإحسانِ إلَيْهِما، حَمَلَتْهُ أمُّه ضعفًا على ضَعْفٍ، وتمامُ فِطامِه عن الرَّضاعَةِ في مُدَّة عامَيْن، وقُلْنا له: اشْكُرْ للهِ سُبحانَهُ، ثُمَّ اشْكُر لوالِدَيْكَ، إليَّ المَرْجِعُ، فأُجازي كُلًّا بِما يَسْتَحِقُّهُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرف).
(2) ابن عثيمين، مجموع الفتاوى والرسائل: 4/ 312.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 161.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نوب).
(5) الخليل بن أحمد، العين: (نوب).
(6) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 106.

وإن جاهَدك - أيُّها الولَدُ المُؤْمِنُ - والِداكَ على أن تُشْرِك بي غَيْري في عبادَتِك إيّاي ممّا ليسَ لكَ بِهِ عِلمٌ، أو أمَراكَ بمعصيَةٍ مِن مَعاصي اللهِ تَعالى؛ فَلا تُطِعْهُما؛ لأنَّه لا طاعةَ لمَخْلوقٍ في مَعْصيَةِ الخالِقِ، وصاحِبْهُما في هذهِ الحياةِ الدُّنيا بالمَعْروفِ فيما لا إثْمَ فيهِ، واسْلُك - أيُّها الولدُ المُؤْمِنُ - طريقَ مَن تاب مِن ذَنْبِه، ورجع إليَّ، وآمنَ برسولي مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ إليَّ مَرْجِعُكُم، فأُخْبِرُكُم بِما كُنْتُم تَعْمَلونَهُ في الدُّنْيا، وأُجازي كُلَّ عاملٍ بِعَمَلِه[1].

وترشدُ الآيتان الكريمتان إلى الإحسان إلى الوالدين بالقول اللَّيِّن، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمؤنتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كلِّ وجه، بالقول والفعل، وإلى رعاية حقِّ الوالدة وتعبها، ومشقَّتها في سهرها ليلًا ونهارًا؛ لتذكير الولدِ بإحسانها المتقدِّم إليه، وإلى بيان تمام مدة الرَّضاع، وهي في خلال عامين، وإلى تقرير مبدأ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف، وإلى وجوب اتِّباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة، وحرمة اتِّباع سبيل أهل البدع والضلالة[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ ومَوْقِعُ الجُمْلَةِ بَعْدَها:

وَصيَّةُ اللهِ تَعالى العَبْدَ بِوالِدَيْهِ

الواوُ في ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ مِن قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ استئنافيَّة، والجملةُ بعدَها مُسْتأنفَةٌ على وجْهِ الاعتراضِ في أثناء وصيَّةِ لُقْمان؛ لإرادَةِ التَّأكيد لِما فيها مِن الزَّجر عنِ الشِّرك[3].

(1) نخبة من العلماء، التَّفسير الميسر، ص: 412.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 429، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن: 1/ 648، والجزائري، أيسر التفاسير: 4/ 206.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 71، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 84.

ويجوزُ أن تكونَ الواوُ للحالِ، والجملةُ بعدَها حاليَّة، والمَعْنى: (قالَ لُقْمانُ ذلكَ لِوَلَدِه نُصْحًا لَهُ، والحالُ أنّا بِعَظَمَتِنا وصَّيْنا ولدهُ بهِ بِنَحْو ما أوصاهُ بِهِ في حَقِّنا)[1].

بَلاغَةُ الاعْتِراضِ في الآيَةِ:

تَأكيدُ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ بِاللهِ تَعالى

هذه الوصيَّة الواردةُ في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ إلى قولِه تَعالى: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ اعتراضٌ بينَ كَلامِ لُقْمانَ على نَهْجِ الاسْتِطْرادِ، والغَرَضُ مِن ذلكَ تأكيدُ ما تَقَدَّم مِنَ النَّهْيِ عنِ الشِّرك باللّه سُبْحانَهُ؛ إذْ هُو أعظَمُ الذُّنوب على الإطْلاقِ، فَلا جرَمَ جاءَ النَّهْيُ المُؤَكَّد عنهُ[2].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ التَّوْصيَةِ:

الإشـــارَةُ إلى عَظَمَةِ الوَصيَّةِ بِحَقِّ الوالِدَيْنِ

جاء التَّعبيرُ بلفظِ التَّوصيةِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾؛ للإيماء إلى عظمَةِ ما وُصّي به؛ إذِ الوصيَّةُ في كلامِ العرَبِ: الأمْرُ المؤكَّدُ[3]، والتَّوكيد إنَّما يكونُ في الأمورِ العِظامِ الجَليلَةِ المِقْدارِ.

والتَّوصيَةُ تَتَعَلَّقُ بصلاحِ المُخاطَب خُصوصًا أو عمومًا، ويكونُ في فَوْتِهِ ضَرٌّ، فكانَ التَّعبيرُ بالتَّوصية أبلغَ مِن مُطْلَقِ الأمرِ والنَّهي؛ إذْ لا تُطْلَقُ الوصيَّة إلّا حيث يُخاف الفواتُ، فلهذا كلِّه آثر البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾؛ إذِ المقصودُ مِنْها إلهابُ الهِمَمِ للاحترازِ مِنَ الوُقوع في عُقوق الوالِدَيْنِ[4].

فائِدَةُ إسْنادِ التَّوْصيَةِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ:

العَظيمُ لا يوصي إلّا بِعَظيمٍ

أُسْنِدَ الفعلُ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ إلى ضميرِ العَظَمَة في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾؛ للإيماء إلى عظمَةِ الموصي، وذلكَ يَلْزَمُ منهُ تعظيمُ الموصى بِه؛ إذِ العظيمُ لا يوصي إلّا بالعظيمِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 163 - 164.
(2) القِنّوجي، فتح البيان: 10/ 284.
(3) الشنقيطي، العذب النَّمير: 2/ 501.
(4) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1595 - 1596.

فكان في ذلك إشعارٌ بعظمةِ حقِّ الوالِدَيْن، ولذا جُعِلَ حقُّهما بعدَ حقِّ اللهِ سُبْحانَهُ.

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾:

بِـرُّ الـوالِـدَيْـنِ جَـزاءٌ لِبَعْضِ إحْسانِهِما السّابِقِ

(أل) في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ مِن قول اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ يُراد بها الجِنْسُ، أي: وصَّيْنا هذا النَّوع مِنَ الخَلْقِ - على لِسان أوَّل نَبيٍّ أُرسل إليه فَما بَعْدَهُ، وبما رُكِز في فِطْرَةِ كُلِّ فَرْدٍ مِن أفرادِ هذا النَّوع - بأنَّ الإحسانَ لا جَزاء لَهُ إلّا الإحسانُ[1].

دلالةُ الباءِ في ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾:

الإيماءُ إلى قُوَّةِ صِلَةِ العَبْدِ بِوالِدَيْهِ بِرًّا وإحْسانًا

الباءُ في ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ للتَّعدية، وفيها مَعْنى الإلْصاقِ أيضًا؛ إذِ الإلْصاقُ مِنَ المَعاني المُلازِمَةِ للباء[2]، وهُو إلْصاقٌ مَجازيٌّ، وفي ذلك إيماءٌ إلى قُوَّة الوصيَّة بالوالدَيْنِ وشِدَّةِ صِلَةِ الإنْسانِ بِهِما برًّا وإحْسانًا.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ وموقِعُهُ الإعْرابيُّ:

تَعْليلُ الأحْكامِ يُقَوّيها ويُؤَكِّدُها

فُصِل قولُ الله تَعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ عَمّا قبلَهُ؛ لِوُقوعِهِ موقِعَ التَّعليل للوصايَةِ بالوالِدَيْنِ، والقَصْدُ مِن ذَلِكَ توكيدُ تلكَ الوصايَة؛ إذْ تعليلُ الحُكم يُفيدُهُ تقويةً وتأكيدًا، ولأنَّ في مَضْمون هذه الجُمْلَةِ ما يُثير الباعِثَ في نَفْسِ الولَدِ عَلى أن يَبَرَّ بأُمِّه، ويَسْتَتْبِعَ البِرَّ بِأبيه[3].

وجملَةُ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ يجوزُ أن تَكونَ حاليَّة، والمَعْنى: وصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيْهِ حالَ كونِ أُمِّه ذاتَ وهْنٍ تحملُهُ في أحْشائِها[4].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 164.
(2) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 138.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 158.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 164.

بَيانُ مَرْجِعِ الضَّمائِرِ في قَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾:

تَوْجيهُ الكَلامِ إلى أفْرادِ النّاسِ عَلى وجْهِ التَّوْزيعِ

ضمائِرِ الغَيْبَة في: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ من قولِ اللّه سُبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ترجع إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ باعتبار فردٍ منه على جهة التَّوزيع، أي: وصَّينا كلَّ إنسانٍ بوالديه، حملَت كلَّ فردٍ - من أفرادِ الإنسانِ المذكور قبلُ - أُمُّهُ في بَطْنِها، فالضَّمير في ﴿حَمَلَتْهُ﴾ ليسَ راجِعًا للإنْسانِ باعْتِبار عُموم أفرادِهِ؛ لأنَّ عمومَ النّاس لَم تَحْمِلْهُم أُمٌّ واحدةٌ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿وَهْنًا﴾:

تَحْنينُ قُلوبِ الأولادِ عَلى أُمَّهاتِهِمْ حَثًّا عَلى بِرِّهِنَّ

﴿وَهْنًا﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ منصوبٌ على الحالِ، أي: حَمَلَتْهُ أمُّه حالَ كونِها ذاتَ وهنٍ[1]، ويجوز أن يكونَ منصوبًا على المَصْدَريَّة المُطْلَقَة، والمَعْنى: وهنَت بِحَمْلِها إيّاه وهْنًا على وهنٍ[2]، وفي تقييدِ الفعْلِ بالحالِ أوِ المَفْعولِ المُطْلَقِ مُبالغةٌ في تَحْنينِ قُلوبِ الأولادِ عَلى أُمَّهاتِهِم بتَذْكيرِهِم بِما قاسَيْنَهُ مِن أجلِ خُروجِهِم إلى الحياةِ، فيكون ذلك أدْعى إلى برِّهِنَّ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَصْدَرِ ﴿وَهْنًا﴾:

شِدَّةُ الضَّعْفِ اللّاحِقِ بِالأُمِّ في حَمْلِها

جاءَ التَّعبيرُ بالمَصْدَر ﴿وَهْنًا﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ لإرادَةِ المُبالغَةِ في لُحوقِ الضَّعْفِ بِها وشِدَّة ذلك الضَّعْف، حتّى جَعَلها نفسَ الوَهْن[3].

ويجوزُ أن يكونَ ذلكَ عَلى حَذْفِ مضافٍ، والتَّقدير: حَمَلَتْهُ أمُّه حالَ كونِها ذاتَ وهْنٍ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾:

اشْتِدادُ ضَعْفِ المَرْأةِ كُلَّما أثْقَلَتْ

الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ مِن قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 71.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 104.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 164.

﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ متعلِّقانِ بمحذوفٍ صفةٌ للمَصْدَر ﴿وَهْنًا﴾، والتَّقدير: وهْنًا كائنًا عَلى وهْنٍ، أي: تَضْعُف ضعفًا فوقَ ضعفٍ؛ إذْ لا تزالُ المرأةُ يتضاعَفُ ضعفُها، ويزيدُ؛ كُلَّما أثقلَتْ[1].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾:

تَمَكُّنُ الضَّعْفِ مِنَ الأُمِّ تَمَكُّنًا بَيِّنًا

في التَّعبير بحَرْفِ الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ إيماءٌ إلى تراكُمِ الضَّعف بعضه فوقَ بعضٍ حتّى اشْتَدَّ عليها، وقويَ، فصار بيِّنًا ظاهرًا مُتَمَكِّنًا تَمَكُّن الشَّيء العالي عَلى غيرِه.

لطيفةُ تَنْكيرِ الوَهْنِ:

بَيانُ عَظَمَةِ الوَهَنِ اللّاحِقِ بِالأُمِّ وشِدَّتِهِ

نُكِّر لفظُ الوَهْنِ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ للدِّلالةِ على تَعْظيمِه وشِدَّتِه، فالمَعْنى: حَمَلَتْهُ أمُّه حالَ كونِها ذاتَ وهْنٍ عظيمٍ مُضافٍ إلى وهْنٍ عظيمٍ آخرَ.

المَوْقِعُ البَيانِيُّ لِقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾:

التَّذْكيرُ بِعِظَمِ حَقِّ الأُمِّ وتَأكيدُ إيجابِ الوَصيَّةِ بِها

قولُ اللهِ سُبْحانَه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ جملةٌ اعتراضيَّة بينَ قولِه ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾، وقولِه تَعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، فهُو اعْتِراضٌ بينَ المُفَسَّر والمُفَسِّر؛ وذلك لأنَّ اللهَ تَعالى لمّا وصّى الإنسانَ بوالِدَيْه؛ أتْبَعَهُ ببيانِ ما تُكابِدُهُ الأمُّ، وتُعانيه مِنَ المَشاقِّ والشَّدائد والمتاعِبِ في حَمْلِه وفِصالِه هذه المُدَّة المُتَطاوِلَة؛ تأكيدًا لإيجابِ الوَصيَّة بالوالدةِ على وجْهِ الخُصوص، وتَذْكيرًا بحَقِّها العظيم[2].

نُكْتَةُ الاقْتِصارِ بالوصية عَلى أحْوالِ الأُمِّ:

الوَصيَّةُ بِالأُمِّ أصالَةً وبِالأبِ عَلى وجْهِ الإلْحاقِ والقياسِ

في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ اكتفاءٌ، وذلكَ لأنَّ اللهَ تعالى لمّا وصّى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 72.
(2) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1597.

بالوالِدَيْن؛ أعقبَهُ بتَعْليلِ هذهِ الوصايَة بذِكْرِ أحوالٍ خاصَّةٍ بالأُمِّ؛ لأنَّ تلك الحالَ المذكورَةَ تَقْتضي الوصايةَ بالأبِ أيضًا على وجْهِ الإلحاقِ والقياس؛ إذِ الأبُ يُلاقي مشاقَّ ومتاعبَ في القيامِ على الأُمِّ؛ لتَتَمَكَّن مِنَ الشُّغل بالطِّفْل مُدَّةَ حضانَتِه، ثُمَّ هو يتولّى تَرْبيَتَهُ والذَّبَّ عنه حتّى يبلُغَ أشدَّه عنِ الإسْعافِ[1].

واكْتُفي بذِكْرِ أحوالِ الأُمِّ؛ لضَعْفِها، فيُحتاج في برِّها إلى مزيدِ العِنايَة بشَأنِها، بخِلافِ الأبِ؛ فإنَّ له قوَّة في الغالبِ تَمْنَعُ مِنَ الإخلالِ بحَقِّه.

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾:

بَـيـانُ أحْـوالِ الوَلَدِ في صِغَرِهِ مَعَ أُمِّهِ

الواوُ في ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ مِنْ قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ عاطِفَةٌ الجملةَ بَعْدَها على جُمْلَةِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، وبَيْنَ الجُمْلَتَيْن توسُّطٌ بينَ الكَمالَيْن؛ لاشْتراكِهما في الخَبَريَّة، ولِوُجودِ المُناسبَةِ بَيْنَهُما؛ إذْ كِلاهُما في بيانِ أحوالِ الولَدِ في صِغَرِه معَ أُمِّه.

دِلالَةُ ذِكْرِ الفِصالِ بَعْدَ الحَمْلِ:

تَعْليلُ أحَقِّيَّةِ الأُمِّ بِالبِرِّ

في ذِكْرِ الفِصالِ بَعْدَ الحَمْلِ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ تأكيدُ حقِّ الأُمِّ، وزيادَةُ ترقيقِ قلبِ الولَدِ عَلَيْها؛ لأنَّ الحالَيْنِ المَذْكورَيْن - وهُما الحَمْلُ والفِصالُ - يَبْعثانِ في الولَدِ دافِعَ الشَّفقة عليها والرَّحمةِ بها[2].

وذِكْرُ الفِصالِ بعدَ ذِكْرِ الحَمْلِ تعليلٌ لأحقِّيَّة الأُمِّ بالبِرِّ، وفي ذِكْرِهما يَسْتَلْزِمُ الرَّضاعَ؛ لأنَّه حالٌ بينَهما؛ إذِ المُتَقَرِّر في القَواعِدِ أنَّ البَيْنَ مُسْتَحْضَرٌ في الطَّرفَيْن، ثُمَّ إنَّ الفِصال فيه إيماءٌ إلى ما تَتَحَمَّلُه الأُمُّ مِن حُزْنٍ وألَمٍ وشفقةٍ عَلى الرَّضيع لِما تُشاهِدُه مِن أَلَمِه وحُزْنِه في مَبْدَأ فِصالِه[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 158.
(2) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1598.
(3) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1598 - 1599.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ عَنِ الفِطامِ بِالفِصالِ:

شِدَّةُ عِنايَةِ الأُمِّ بِوَلَدِها وشَفَقَتِها عليه

الفِصالُ المَذْكورُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ هو الفِطامُ عَنِ الإرْضاعِ، وذَلِكَ لأنَّ الصَّبيَّ يُفْصَل عَن ثَدْيِ مُرْضِعِه[1]، وفي التَّعبير عَنِ الفِطام بالفِصال مبالغَةٌ في شِدَّةِ عنايَةِ المَرْأة بوَلَدِها؛ إذْ بلَغَ حالًا يَسْتَغْني بِهِ عَن لَبَنِها اسْتِغْناءً تامًّا حتّى انْفَصَل عَنْها.

عِلَّةُ ذِكْرِ مُدَّةِ الفِصالِ:

غايَةُ الفِطامِ عامانِ وما دونَهُ مَوْكولٌ إلى اجْتِهادِ الأُمِّ

في ذِكْرِ تَوْقيتِ الفِصالِ بالعامَيْنِ في قولِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ إيماءٌ إلى أنَّها الغايَةُ التي لا تُتجاوَزُ، والأمْرُ فيما دونَ العامَيْنِ مَوْكولٌ إلى اجْتِهادِ الأُمِّ، فإنْ عَلِمَت أنَّه يَقْوى عَلى الفِطام؛ فَلها فِطامُه، كما يدُلُّ لذلكَ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: 233][2].

دِلالَةُ الظَّرْفيَّةِ المَجازيَّةِ في قَوْلِهِ: ﴿فِي عَامَيْنِ﴾:

مُراعاةُ المَصْلَحَةِ في فِطامِ الوَلَدِ قَبْلَ الحَوْلَيْنِ

في التَّعبيرِ بِحَرْفِ الظَّرفيَّة ﴿فِي﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ إشارَةٌ إلى أنَّ لِلوالِدَيْنِ فطامَهُ قبلَ تَمام المُدَّة المَذْكورَةِ حَسَب ما يَحْتَمِلُه حالُ الولَدِ، وتَدْعو إليهِ المَصْلَحَةُ من أمْرِه؛ لأنَّ الظرفيَّة تَصْدُق مَع اسْتيعابِ المَظْروفِ جميعَ الظَّرف، وتَصْدُقُ أيضًا بِوُقوع ذلكَ في بَعْضِه[3].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالعامِ:

سُرورُ الأُمِّ بِمُدَّةِ الرَّضاعِ مَعَ ضَعْفِها فيها

في التَّعبير بِلَفْظِ العامِ في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ إيماءٌ إلى تَعْظيمِ الأُمِّ لِهذهِ المُدَّة؛ إذْ هيَ تَعُدُّ أيّام رضاعِه - مع كونِها أضعفَ ما تكون في تربيتِهِ - أيّامَ سُرور وسعَةٍ وسعادَةٍ[4].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 438.

(2) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1599.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 165، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 159.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 165.

بَلاغَةُ المُتشابِهِ اللَّفْظيِّ في الآية:

قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، ولا تنافيَ بينَ الآيتَيْن؛ لأنَّهُما خبرانِ عَن قَضيَّتين مُتباينَتَيْن؛ وذلكَ لأنَّ الحملَ والفِصالَ مُدَّتان لا مُدَّة واحدَةٌ، ومجموعُ المُدَّتين: ثلاثونَ شَهْرًا - في أقلِّ مُدَدِهِ - ومُدَّةُ الحَملِ غيرُ مُدَّةِ الرَّضاع، فأخبر في آيةِ لُقْمانَ عَن مُدَّة الرَّضاع فَقَطْ[1].

أقَـلُّ مَـجْـمـوعِ مُـدَّةِ الـحَـمْـلِ والفِطامِ ثَلاثونَ شَهْرًا

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾:

فُصِلَ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ عَمّا قبلَهُ؛ لِوُقوعِه تَفْسيرًا لفِعْلِ ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وبيانًا لَهُ، فكانَ بينَ الجُمْلتينِ كمالُ الاتِّصالِ[2].

مَعْنى ﴿أَنِ﴾ ومَوْقِعُ الجُمْلَةِ بَعْدَها:

﴿أَنِ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ بمَعْنى: (أيْ) التَّفْسيريَّة، والجُمْلَةُ بعدَها تفسيريَّة، والمَعْنى: وعَهِدْنا إليهِ أنِ اشْكُر نِعْمَتي عليكَ، واشْكُرْ لِوالِدَيْك تربيتَهُما لكَ ومِحنَتَهُما فيك[3].

تَـفْـسـيرُ الـشُّـكْـرِ وبَيانُ جِهَتِهِ

ويجوزُ أن تكونَ ﴿أَنِ﴾ مَصْدَريَّة، فتُسْبَك معَ ما بعدَها بمصدَرٍ منصوبٍ بنَزْعِ الخافِضِ، والمَعْنى: وصَّيْنا الإنسانَ بِشُكْرِه لي ولِوالِدَيْهِ[4].

دِلالَةُ الأمْرِ في ﴿ٱشْكُرْ﴾:

فِعْلُ الأمْرِ ﴿ٱشْكُرْ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ يَدُلُّ على النُّصحِ والإرشادِ؛ لما فيه مِن تحقيقِ مصالِحَ دُنْيَويَّةٍ وأُخْرَويَّة، ولا يُنافي أن يكونَ ذلكَ واجبًا؛ فإنَّ شُكْرَ اللهِ سُبْحانَهُ وشُكْرَ الوالِدَيْنِ مِن أوجَبِ الواجباتِ وأهَمِّ المُهِمّاتِ.

شُكْرُ اللهِ تَعالى وشُكْرُ الوالِدَيْنِ مِـنْ أوجَـبِ مُهِمّاتِ الدّيانَةِ

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 389.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 160.
(3) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 9/ 5723.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 538.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾:

جَعَلَ اللهُ تَعالى الوالِدَيْنِ سَبَبًا لِوُجودِ العَبْدِ والإحْسانِ بِتَرْبِيَتِهِ

اللّامُ في ﴿لِي﴾ مِن قولِ اللهِ تَعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾؛ للاخْتِصاص، ويجوزُ أن تَكون اللّامُ للتَّعليلِ، والمَعْنى: اشْكُر لي؛ لأنَّني المُنْعِمُ على جِهَةِ الحَقيقَةِ، واشْكُر لِوالِدَيْك؛ لأنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَهُما سَبَبًا لِوُجودِ الإنسانِ والإحسان بِتَرْبِيَتِهِ[1].

بَلاغَةُ الإدْماجِ في قَوْلِهِ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾:

التَّمْهيدُ لِلكَلامِ اللّاحِقِ

في تَفْسيرِ الوَصيَّة بالوالِدَيْنِ في قولِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ - بِما فيهِ الأمْرُ بِشُكْرِ اللهِ سُبْحانَه مَعَ شُكْرِهِما - إدماجٌ، من إدماج غرضٍ في غرض، بحيث لا يظهر في الكلام إلّا أحدُ الغَرَضين، فجيءَ بِهِ تَمْهيدًا للمَذْكورِ بَعْدُ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾:

التَّحْذيرُ مِنْ مُخالَفَةِ وصيَّةِ اللهِ تَعالى

فُصِل قولُ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ عَمّا قبلَهُ؛ لوُقوعِهِ تعليلًا للأمْرِ بالشُّكْرِ عَلى وجْهِ التَّحذير مِن مُخالَفَةِ ذَلِكَ[2].

ويَجوزُ أن تَكون الجُمْلَةُ اسْتِئْنافًا؛ لقَصْدِ الوَعْظِ والتَّحذيرِ مِن مُخالفَةِ ما أوصى اللهُ سُبْحانَهُ بِهِ مِن الشُّكْرِ لَهُ وللوالِدَيْنِ[3].

غَرَضُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿إِلَيَّ﴾:

نَفْيُ المصيرِ إلى غَيْرِ اللهِ تَعالى

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿إِلَيَّ﴾ من قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ لإرادَةِ الحَصْرِ والقَصْر، أي: المَصيرُ إلَيَّ لا إلى غَيْري، وفيهِ نَفْيُ أن يكونَ للأصْنامِ مَصيرٌ في شَفاعَةٍ أو غَيْرِها[4].

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾:

مَصيرُ النّاسِ كُلِّهِمْ إلى اللهِ سُبْحانَهُ وحْدَهُ

(أل) في ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ للجِنْسِ، أي:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 166.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 166.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 160.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 166، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 160.

مَصيرُ النّاس جميعًا إلى اللّهِ تَعالى دونَ ما سِواهُ، ويَجوزُ أن تكونَ (أل) عوضًا عَن مُضافٍ إليهِ، فالأصْلُ: إليَّ مَصيرُ النّاس، فحُذِفَ المضافُ إليهِ (النّاس)، وعُوِّض عنهُ بـ (أل) في لَفْظِ المُضافِ[1].

دلالةُ الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾:

اشْتِمالُ الجُمْلَتَيْنِ عَلى بَيانِ حَقِّ اللهِ تَعالى وحَقِّ الوالِدَيْنِ

الواوُ في ﴿وَإِن﴾ مِن قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا۠ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا۟﴾ عاطفَةٌ الجُملةَ بعدَها عَلى جُمْلَة: ﴿ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾؛ لِما بَيْنَهُما مِن التَّوسُّط بينَ الكَمالَيْنِ؛ وذلكَ لأنَّ جملةَ الشَّرْطِ إنشائيَّة؛ إذِ التَّحقيقُ في جُمْلَةِ الشَّرط أنَّه يُنظَرُ إليها بحَسَبِ جوابِها، وجوابُ الشَّرط ها هُنا إنشاءٌ، وهُو قولُه: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا۠﴾، وجملةُ ﴿ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ إنشائيَّة أيضًا، وبينَهُما مناسبَةٌ؛ إذ كِلتاهما مشتمِلٌ على حقِّ اللّه تعالى في قولِه: ﴿ٱشْكُرْ لِى﴾، وقولِه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا۠﴾، وحَقِّ الوالدَيْنِ في قولِه: ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، وقولِه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا۟﴾.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ (إنْ) دونَ (إذا):

الإيماءُ إلى أنَّ مُجاهَدَةَ الوالِدَيْنِ ابْنَهُما عَلى مُواقَعَتِهِ الشِّرْكَ لَيْسَ مَقْطوعًا بِها

جاء التَّعبيرُ بـ (إنْ) دونَ (إذا) في قولِ اللّه سُبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا۠﴾؛ لأنَّ (إنْ) تدُلُّ في أصل وضْعِها على الشَّكِّ في وُقوعِ مَدْخولِها، ومجاهدةُ الوالِدَيْنِ ابنَيْهِما على مُواقَعَةِ الشِّرك ليسَ أمرًا مَقْطوعًا به، فكانَ تعليقُ الشَّرط بـ (إن) أنسبَ لِبَيانِ المَعْنى المُرادِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

عَظَمَةُ حَقِّ اللهِ تَعالى فَوْقَ كُلِّ حَقٍّ

في التَّعبير بالمُجاهدَةِ في قول اللّه تَعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا۠﴾ إيماءٌ إلى شِدَّة سَعْيِهِما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 160.

في إيقاعِ ولَدَيْهما في الشِّرك؛ إذِ المُجاهدَةُ تَقْتَضي اسْتِفْراغَ الوُسع في عملٍ ما، وفي صيغةِ المُفاعلةِ إشارَةٌ إلى مُخالَفَتِهما فيما يَدْعُوانِ إليهِ مِنَ الشِّرك، وإنْ بالَغا في الحَمْلِ عَلى ذَلِكَ مَبْلَغًا عظيمًا، وكُلُّ ذلك لِبَيانِ عَظَمَةِ حَقِّ اللهِ ﷻ فَوْقَ كُلِّ حَقٍّ[1].

بَيانُ مَرْجِعِ الضَّمائِرِ في ﴿جَٰهَدَاكَ﴾:

إرادَةُ العُمومِ بالخِطابِ

في قَوْلِه تَعالى: ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ ضميرانِ، أحدُهُما: ضَميرُ التَّثنية - وهُو الألف - وهُو راجِعٌ إلى الوالِدَيْنِ المَذْكورَيْنِ قبلُ في قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، وظاهِرُ ضَميرِ الخِطابِ - وهُو الكافُ - أنَّه لا يعودُ إلى مُعَيَّنٍ، كَما هُو الأصلُ فيهِ، وإنَّما خرَج عَن تلكَ الدِّلالة إلى إرادَةِ العُموم، والمَقْصودُ كلُّ مَن يَتَأتّى خِطابُهُ مِنَ المُكَلَّفينَ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلاءِ ﴿عَلَىٰٓ﴾:

وُجوبُ تَرْكِ طاعَةِ الوالِدَيْنِ في أمْرِهِما بالشِّرْكِ باللهِ تَعالى

وفي التَّعبيرِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلاءِ ﴿عَلَىٰٓ﴾ مِن قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه لا مَطْمَعَ لِمَن أطاعَهُما في ذلكَ - ولَو باللَّفظ فقَطْ - أن يكونَ في جُمْلَةِ عِبادِ اللهِ المُحْسِنين، وإنْ كانَ الوالِدانِ في غايَةِ العُلُوِّ والتَّمكُّن مِنَ الأسْبابِ الموقِعَةِ في الفِتْنَة[2].

فائِدَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تُشْرِكَ﴾:

تَحريمُ مُطاوَعَةِ الوالِدَيْنِ فيما يُخالِفُ شَرْعَ اللهِ سُبْحانَهُ

جاءَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تُشْرِكَ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ للدِّلالة على الاسْتِمْرار، وأنَّ بَذْلَهُما غايةَ الوُسْعِ في إيقاعه في الشِّرك مُسْتَمِرٌّ متواصلٌ، ومع ذلك فلا يَلينُ الابن - العبدُ الصالح - لذلك فيُطاوِعَهُما؛ إذْ إنَّ إصرارَهُما على أمْرٍ ما قَد يوجِبُ رقَّةً ولينًا في قَلْبِ الوَلَد.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 166.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 166 - 167.

مَعْنى الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿بِي﴾:

الإلْصاقُ مَعْنًى مُلازِمٌ لِحَرْفِ الباءِ

الباءُ في ﴿بِي﴾ مِن قول الله تَعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ للمصاحبةِ، وفيها مَعْنى الإلْصاقِ أيضًا؛ إذ إنَّ الإلصاقَ مِنَ المَعاني المُلازِمَةِ للباء[1]، وهُو إلصاقٌ مَجازيٌّ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

لَيْسَ لِلشِّرْكِ دَليلٌ عَلى صِحَّتِهِ واعْتِبارِهِ

﴿مَا﴾ في قَوْلِ الله ﷻ: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ في محلِّ نصبٍ مفعولٌ لـ ﴿تُشْرِكَ﴾، ويجوزُ أن تكونَ نَكِرَةً، أي: تُشْرِكَ بي شَيْئًا ليسَ لك به علمٌ، أو تكون ﴿مَا﴾ بمعنى: (كُفْرًا أو الكُفْر)، وتكون حينَئِذٍ في محلِّ نصبٍ على المَصْدَريَّة، وذلك الكلامُ على حَذْفِ مُضاف، والتَّقدير: وإن جاهدكَ والداكَ على أن تُشْرِكَ بي كُفْرًا ليس لك به عِلْمٌ، أو الكُفْرَ الذي ليسَ لك بِصِحَّته علمٌ؛ فلا تُطِعْهُما[2].

وجُمْلَةُ: ﴿لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ صلةُ المَوْصول لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ؛ إذا جُعلت ﴿مَا﴾ اسْمًا موصولًا، وإذا جُعلت ﴿مَا﴾ نكرةً؛ تكون جملةُ: ﴿لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ في محلِّ نعتٍ، والصِّفَةُ حينَئِذٍ كاشفَةٌ لبيانِ الواقع لا مُقَيِّدة لقَصْدِ الاحْترازِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِهِ:

الحَثُّ عَلى الاسْتِمْساكِ بِالتَّوْحيدِ ونَبْذِ الشِّرْكِ

في التَّعبير بالاسْم المَوْصولِ ﴿مَا﴾ وصِلَتِه: ﴿لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِن قول اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إيماءٌ إلى العُموم؛ إذْ إنَّ الاسمَ المَوْصولَ مِنَ الألفاظِ المُفيدَةِ ذَلِكَ المَعْنى، فيكونُ في الآيةِ حَثُّ العبدِ وحَضُّه على التَّمَسُّك بالتَّوحيد ونَبْذِ الإشْراكِ باللهِ تعالى أيًّا كانَ ذلك المُشْرَكُ به، وأيًّا كان نَوْعُ الشِّرك، ففي ﴿مَا﴾ عُمومانِ: عُمومٌ في الشِّرْكِ، وعمومٌ في المُشْرَكِ بِهِ معَ اللهِ تَعالى.

---

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 138.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 86.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لَكَ﴾:

المُشْرِكونَ يَتَعَلَّقونَ بِالأوهامِ والشُّبُهاتِ لا بِالحُجَجِ الثّابِتاتِ

اللّام في ﴿لَكَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ تدلُّ على الاخْتِصاص، أي: أن يكونَ عندكَ علمٌ يقينيٌّ كأنَّك اخْتُصِصْتَ بِهِ، لا مجرَّد شبهاتٍ واهيَة؛ إذْ لا يُعدم المُشْرِكُ باللّهِ تعالى شُبَهًا يَزْعُم بها صِحَّةَ ما هُو عليه مِن الشِّرك، ولكن ليس لمُشْرِكٍ قَطُّ عِلْمٌ يقينيٌّ بصحَّةِ مَذْهَبه، كما قال اللّه سُبْحانَه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: 148].

نُكْتَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَكَ﴾:

تَقْويَةُ مَعْنى الاخْتِصاصِ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿لَكَ﴾ من قولِ اللّه سُبْحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾؛ لتقويةِ مَعْنى الاخْتِصاصِ المُسْتَفادِ مِنَ اللّام؛ وذلكَ لأنَّ تقديمَ ما حقُّه التَّأخير يُفيد القَصْرَ والاختصاصَ.

مَعْنى الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿بِهِۦ﴾:

التَّحْذيرُ مِنِ اتِّباعِ الشُّبَهِ والظُّنونِ الكاذِبَةِ

الباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ للإلصاقِ، أي: أن يكونَ هَذا العِلْمُ المَقْطوعُ بِهِ مُلاصِقًا لكَ أيُّها العبدُ، وفي ذلكَ تَرْشيحٌ بِمَعْنى الاخْتِصاصِ المُسْتَفادِ مِنَ اللّام وتقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَكَ﴾، وفي كُلِّ هذا تَحْذيرٌ مِن اتِّباعِ الشُّبَهِ المُضَلِّلة والظُّنون الكاذِبَةِ للعُدولِ بِها عَنِ التَّوحيدِ إلى الشِّرْكِ.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿عِلْمٞ﴾:

نَفْيُ مُطْلَقِ العِلْمِ عَلى صِحَّةِ الشِّرْكِ

نُكِّرَ لفظُ ﴿عِلْمٞ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ لإرادَةِ العُموم؛ إذْ هُو نكرَةٌ في سياقِ النَّفْي، فتَعُمُّ، والمَعْنى: ما ليسَ لكَ بِهِ أيُّ علمٍ يقينيٍّ، ويجوزُ أن يكونَ التَّنكيرُ

للتَّعظيم، أي: ما لَم يَكُن عِنْدَكَ عِلْمٌ عظيمٌ مقطوعٌ بهِ؛ فلا تُطِعْهُما بالعُدول عن التَّوحيد إلى الشِّرك.

والأوَّل أظهرُ؛ لأنَّ المراد بـ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بيانُ الواقعِ، وليسَ هُو قَيْدًا للاحترازِ، فكونُه للعُمومِ أولى، وهُو أدخَلُ في نَفْيِ مُطْلَقِ العِلْمِ على صِحَّة الشِّرك.

بَلاغَةُ عَكْسِ الظَّاهِرِ في ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

المُرادُ بِنَفْيِ العِلْمِ بِهِ نَفْيُهُ رَأسًا

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ نفيُ الشَّيء بإيجابِه، وهُو المُسَمّى: عكسَ الظّاهر، وذلكَ بأن يُذكَرَ كلامٌ يدلُّ ظاهرُه على أنَّه نفيٌ لصفةِ موصوفٍ ما، وهُو في الحقيقَةِ نَفْيٌ للمَوْصوفِ أصْلًا، وذلك أنَّ اللهَ تَعالى بقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أراد بِنَفْيِ العِلْمِ نفيَهُ، والمَعْنى: لا تُشْرِك بي ما ليسَ بِشَيْءٍ، يعني: الأصنامَ ونحوَها، أي: لا تُشْرِك بي ما لَيْسَ بإلَهٍ، فيكون لكَ علمٌ بالإلهيَّة[1].

مَعْنى الفاءِ في قَوْلِهِ: ﴿فَلَا﴾:

الأمْـرُ بِالشِّرْكِ مُنافٍ لِلحِكْمَةِ حـامِـلٌ عَـلى الظُّلْمِ والسَّفَهِ

الفاءُ في ﴿فَلَا﴾ من قول اللهِ تَعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ رابطَةٌ للشَّرط المذكورِ قبلُ في قولِه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وفيها معنى السَّببيَّة، أي: لا تُطِعْهُما في مُواقعَةِ الشِّرك، ولَو اجْتَمَعا على المُجاهدَةِ لَكَ عليهِ، بَل خالِفْهُما؛ لكَوْنِ أمْرِهما بذلكَ مُنافيًا للحِكْمَةِ حامِلًا عَلى مَحْضِ الظُّلم والجَوْرِ والسَّفه[2].

دِلالَةُ النَّهْيِ في قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾:

تَحْـريـمُ طـاعَـةِ الـوالِـدَيْـنِ في مَـعْـصـيَـةِ اللهِ سُبْحانَهُ

النَّهي الوارد في ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ يَدُلُّ على النُّصح والإرشادِ؛ لما فيه من تحقيقِ مصالِحَ دُنْيَويَّةٍ وأُخْرَويَّة، ولا يُنافي أن يكونَ ذلكَ النَّهي دالًّا على التَّحريم، وذلك أنَّ طاعةَ الوالدَيْنِ في

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 536، 7/ 539.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 168.

معصيةِ اللّه تَعالى - ولا سيَّما أعظمُ المعاصي وهُو الشِّرك - مِنَ المُحَرَّمات القَطْعيّات.

بَلاغَةُ المُتشابِهِ اللَّفْظيِّ:

دِقَّـــةُ الـبَـيـانِ الـــقُـــرْآنيِّ في اخْـتـيـارِ حُـروفِ المَعاني المُناسِبَةِ لِسياقاتِها

قالَ اللّهُ تَعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾، وقال سُبْحانَهُ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ [العنكبوت: 8]، فعُدّي فِعْلُ الشِّرْكِ في هذهِ السّورةِ بـ ﴿عَلَىٰٓ﴾ وفي سورةِ العَنْكبوتِ باللّام؛ وذَلك لِلفَرقِ ما بينَ الآيَتَيْنِ في السّورتَيْنِ مِن حيثُ بِناءُ آيةِ العَنْكَبوتِ على الإيجازِ، فناسَب ذلك الاكتفاء باللّام، وبناءُ آية سورة لُقْمان على الإطنابِ، فناسب ذلك تَعْديته بحرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰٓ﴾، ولأنَّ ما في سورة العنكبوتِ وافقَ ما قبلَه في اللَّفظ، وهو قولُه ﷻ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [العنكبوت: 6]، فاختير فيهِ اللّامُ كما اختيرَ في الذي قبلَه، وأمّا ما في سورةِ لقمان؛ فَهُو محمولٌ على المَعْنى؛ إذِ التَّقدير: (وإنْ حَمَلاك على أن تُشْرِكَ)[1].

دِلالَةُ العَطْفِ في قَوْلِهِ: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا﴾:

بَيانُ عِظَمِ حَقِّ الوالِدَيْنِ

عُطِفَ ﴿وَصَاحِبۡهُمَا﴾ على ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾ من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾؛ لِما بينَ الجُمْلَتَيْن مِنَ التَّوسُّط بينَ الكمالَيْن؛ إذْ جُمْلَةُ ﴿وَصَاحِبۡهُمَا﴾ إنشائيَّةٌ، وكذا جُمْلَةُ: ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾، وبينَهُما تَناسُبٌ في المَعْنى واشْتراكٌ في المُسْنَدِ إليهِ، وهُو ضَميرُ الخِطاب المُسْتَتِر (أنت) الذي يَعُمُّ كُلَّ مُخاطَبٍ، واشْتراك في المفعول بهِ، وهُو الضَّمير العائد على الوالِدَيْن.

وفي تعقيبِ الأمْرِ بِصُحْبَتِهما بالمَعْروفِ عَلى النَّهي عن طاعَتِهما

(1) الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 198، وابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 388، والقنوجي، فتح البيان: 10/ 168.

في الشِّرك احتراسٌ؛ إذِ النَّهي عن طاعَتِهما قَد يوهِمُ أنَّ النَّهي عامٌّ في الشِّرْكِ وفي غيرِه، وأنَّ ذلك يَقْتَضي نَصْبَ العِداء لَهُما، فدُفِع ذلك ببَيانِ أنَّ الواجبَ مُصاحَبَتُهما بالمعروفِ، ولو كانا مِن الدّاعين إلى الشِّرك الحامِلين غيرَهُم عليهِ، وذلكَ لِعِظَمِ حقِّهما على ولَدِهما.

دِلالَةُ الظَّرْفيَّةِ في قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾:

تَقْليلُ مُدَّةِ الصُّحْبَةِ للحَثِّ عَلى تَحَمُّلِ مَشاقِّها

تَقْييد المصاحبةِ بالظَّرف المُسْتفادِ مِن ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، فيه إشارَةٌ إلى تَهْوينِ أمْرِ الصُّحْبَةِ؛ إذْ إنَّها في أيّامٍ قلائلَ وشيكَةِ الانْقِضاءِ، فلا يَصْعُب على الولَدِ تَحَمُّل مَشَقَّتِها[1].

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

(أل) في ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ تدلُّ على العُموم، فَيَنْدَرِجُ تحتَها جميعُ أحوالِ الدُّنيا مِمّا لا يُصادِم المأمورَ بِهِ شَرْعًا.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿مَعْرُوفًا﴾:

جَميعُ صُوَرِ المَعْروفِ مَطْلوبَةٌ في بِرِّ الوالِدَيْنِ

لفظُ ﴿مَعْرُوفًا﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ منصوبٌ على أنَّهُ وصفٌ لِمَصْدَرٍ محذوف مفعول مطلق، والعامِلُ فيه الفعلُ ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾، والمَعْنى: صاحِبْهُما صِحابًا مَعْروفًا لأمثالِهما، وذلكَ بإطْعامِهما وكِسْوَتِهما، وتركِ الجَفاءِ في مُعاملتِهما، ومِنْ صُوَرِ المصاحبةِ بالمَعروفِ: عيادَتُهُما؛ إذا مَرِضا، ومُواراتُهُما؛ إذا ماتا[2].

نُكْتَةُ تَنْكيرِ: ﴿مَعْرُوفًا﴾:

تَجاوُزُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ فيما عَجَزَ عَنْهُ مِنَ البِرِّ

لَمّا كانَ الإنسانُ ناقِصًا، وما كان هذا وصفَهُ؛ فإنَّ مِن شأنِهِ العجزَ عَن الوفاءِ بالحقوقِ كُلِّها؛ نُكِّرَ لَفْظُ ﴿مَعْرُوفًا﴾ تخفيفًا مِنَ اللّهِ تعالى عَنِ الوَلَدِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[3].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 21/ 84.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 161.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 168.

دِلالَةُ العَطْفِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾:

تَناسُبُ الجُمْلَتَيْنِ لَفْظًا ومَعْنًى

عُطف ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ على ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾ من قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾؛ لما بينَ الجُمْلَتَيْن مِنَ التَّوسُّط بينَ الكمالَيْن؛ إذْ جُمْلَةُ: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ إنشائيَّة، ومثلُها جُمْلَةُ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا﴾، وبينَهُما تَناسُبٌ في المَعْنى واشْتِراكٌ في المُسْنَدِ إليهِ، وهُو ضَميرُ الخِطاب المُسْتَتِر (أنت) الذي يَعُمُّ كُلَّ مُخاطَبٍ، واشْتِراك في المفعول بهِ، وهُو الضَّمير العائد على الوالِدَيْن، وكلتاهما أسلوبُ أمْرٍ.

دِلالَةُ الأمْرِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾:

الإرْشادُ إلى اتِّباعِ سَبيلِ المُنيبينَ

الأمْرُ في ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ من قول اللهِ تَعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يدلُّ عَلى الوُجوب، عَلى ما هُو الأصلُ في صيغَةِ الأمْرِ، وذلكَ لِصُدورِ الطَّلب مِنَ اللهِ تَعالى لِعبادِهِ، ولا يَمْنَع هذا أن يكونَ في الأمْرِ مَعنى النُّصح والإرشادِ؛ لما فيهِ مِنَ الدِّلالة عَلى مصالِحَ دُنْيَويَّةٍ ودينيَّةٍ.

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في التَّعْبيرِ عَنْ دَعْوَةِ الحَقِّ بِالسَّبيلِ:

دينُ اللهِ تَعالى سَهْلٌ سُلوكُهُ لِمُوافَقَتِهِ الفِطْرَةَ الإنْسانيَّةَ

جاءَ التَّعبيرُ عَن دَعْوَةِ الحَقِّ بالسَّبيلِ في قَوْلِه تَعالَى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾؛ لما يدلُّ عليه السَّبيلُ مِنَ الامْتِدادِ والسُّهولةِ والسَّعَةِ[1]، واتِّباعُ ما هذا وصْفُهُ ليسَ مِمّا يَعْسُر عَلى العَبْدِ.

نُكْتَةُ إضافَةِ السَّبيلِ إلى ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾:

تَأنيسُ العِبادِ في سُلوكِهِمْ سَبيلَ أهْلِ الإنابَةِ

أُضيفَ السَّبيل إلى مَن أنابَ إلى اللهِ تَعالى في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾؛ تعظيمًا لشأنِ المُنيبين إلى اللهِ تَعالى، وتأنيسًا للعبادِ في سُلوك هذا السَّبيل، بأنَّه سبيلٌ لَم يَنْفَرِد المأمورُ باتِّباعه بسُلوكِه، بَل سَلَكَتهُ قبلَهُ جماعاتٌ.

بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِهِ:

في التَّعبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِه في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ

(1) محمَّد داود، معجم الفروق الدِّلاليَّة في القرآن الكريم: 281 - 284.

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾؛ لِبَيان ما يُؤَدّي إليهِ هَذا السَّبيل مِن رِضا اللّهِ تَعالى على سالِكِهِ، وفيهِ حَثٌّ وحضٌّ شديدانِ عَلى سلوكِهِ؛ إذْ لَم يَسْلُكْه أفرادٌ مِنَ النّاس لا يُعبأ بِهِم، بَلْ هذا السَّبيل سلَكَهُ خُلَّصُ المُؤْمنين، وهُم مَن أنابَ إلى اللّهِ تَعالى، ورجَعَ إلَيْهِ بالطّاعَةِ.

الحَضُّ الشَّديدُ عَلى سُلوكِ سَبيلِ المُنيبينَ

مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ ودِلالَتُها:

﴿ثُمَّ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ دالَّةٌ على التَّرتيب والتَّراخي على ما هُو الأصلُ فيها، ولكنَّه تراخٍ رُتْبِيٌّ، وهُو يُفيد الاهْتِمامَ بِالمَذْكورِ بَعْدُ، والمَعْنى: وعَلاوةً على ما تقَدَّم: إلَيَّ مَرْجِعُكم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنْتُم تَعْمَلون[1].

الاهْتِمامُ بِأمْرِ المَرْجِعِ وما يَكونُ فيهِ

نُكْتَةُ تَقْديمِ شِبْهِ الجُمْلَةِ ﴿إِلَيَّ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿إِلَيَّ﴾ من قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ للدِّلالَةِ عَلى القَصْر والحَصْر، أي: إلَيَّ مَرْجِعُكُم لا إلى غَيْري؛ إذْ لا يَرْجِعُ النّاس إلى الحِسابِ يَوْمَ القيامَةِ إلّا للّهِ سُبْحانَهُ وحْدَه[2].

لا مَرْجِعَ لِلنّاسِ إلى الحِسابِ إلّا للهِ تَعالى

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

عُبِّرَ بمادَّة الرُّجوع في قولِ اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ لدِلالَتِها على الرُّجوع حِسًّا ومَعْنًى؛ إذِ الرُّجوع إلى اللّهِ تَعالى بالأجْسامِ بإعادَةِ بَعْثِهِم ووُقوفِهِم بينَ يديهِ سُبْحانَهُ، والرُّجوع إليهِ بالحِساب عَلى أعمالِهِم التي عَمِلوها في الدُّنيا.

الرُّجوعُ إلى اللهِ تَعالى شامِلٌ لِلبَعْثِ والحِسابِ عَلى الأعْمالِ

واخْتيرَ التَّعبيرُ بالمَصْدَر الميميِّ ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾؛ لدِلالَتِه عَلى الحدَثِ، ودلالة هذهِ الصّيغةِ أيضًا على زمانِ الحدثِ ومكانِه، فالرُّجوع إلى اللّهِ تَعالى، ومكانُ الرُّجوع وزمانُه للّهِ سُبْحانَهُ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 161.
(2) القنوجي، فتح البيان: 10/ 286.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 170.

مَعْنى الفاءِ في قَوْلِهِ: ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾:

تحقُّقُ إنْباءِ اللهِ سُبْحانَهُ العِبادَ بِأعْمالِهِمْ

الفاءُ في ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ مِن قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تدُلُّ على التَّرتيب مع التَّعقيبِ، وفي ذلكَ إشارَةٌ إلى سُرْعَةِ إنباءِ اللهِ تعالى العبادَ بِما عَمِلوه، كَما جاءَ مُصَرَّحًا بِسُرْعَةِ الحسابِ في مواضعَ مِنَ القرآنِ الكريمِ، كما في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: 202].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِهِ:

إخْبارُ اللهِ تَعالى العِبادَ بِجَميعِ أعْمالِهِمْ

(ما) في ﴿بِمَا﴾ مِن قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ اسمٌ موصولٌ، والعائِدُ محذوفٌ، والتَّقدير: فأُنَبِّئُكُم بالذي كنتُم تَعْملونَهُ، وفي التَّعبير بالاسْمِ المَوْصول دلالَةٌ على العموم، أي: إنَّ اللهَ سُبْحانَه يُنَبِّئُ العبادَ بجميعِ أعمالِهم صَغيرِها وكَبيرِها، ويُقَوّيه بِناءُ فعلِ الإنْباءِ على صيغَةِ التَّضعيفِ؛ مِمّا يُعْطي دِلالَةً أوسعَ في كَثْرَةِ هَذا الإنْباءِ المُقْتَضي كثرةَ الأعمالِ المُنَبَّأ عَليها.

دِلالَةُ فِعْلِ الكَوْنِ في قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾:

الاسْتِمْرارُ عَلى عَمَلٍ يُصَيِّرُهُ بِمَنْزِلَةِ الجِبِلَّةِ

في التَّعبير بفِعْلِ الكَون ﴿كُنتُمْ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ عَمَلَهُم الذي عَمِلوهُ صارَ بِمَنْزِلَةِ الجِبِلَّة والطَّبيعة لَهُم[1].

دِلالَةُ التَّعبيرِ بِالمُضارِعِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

إنْباءُ اللهِ تَعالى العِبادَ بِالأعْمالِ كُلِّها صَغيرِها وكَبيرِها

جاءَ التَّعبيرُ بِالفِعْلِ المُضارِع ﴿تَعْمَلُونَ﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ للدِّلالَةِ عَلى التَّجدُّد والحُدوث، أي: إنَّ اللهَ سُبْحانَه يُنَبِّئُهُم بِجَميع ما يتجدَّد لَهُم وما يُحْدِثونَهُ مِن أعمالٍ، صغيرةً كانَت أو كبيرةً، خفيَّةً كانَتْ أو ظاهِرَةً[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 170.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 170.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأبَوانِ والوالِدانِ:

بَيْنَ الأبِ والوالِدِ عُمومٌ وخُصوصٌ وجْهيٌّ

الأبُ في اللُّغة يُطْلَق على سببِ وُجود الشَّيء، أو إصلاحِه أو ظُهوره، ومنهُ سُمّي الأبُ مِن بَني آدمَ أبًا؛ لأنَّه يقومُ على إصلاحِ الأبْناءِ ورِعايَتِهم بالتَّربية والغذاءِ.

والوالدُ في اللُّغة: الأبُ المباشِر، الذي هو سببُ وجود الابنِ، وبناءً على هذا؛ فالأب أعمُّ، والوالدُ أخصُّ.

والاستعمال القرآنيُّ لِلكَلِمَتَين رُوعي فيهِ ما لِكُلٍّ منهما مِن ملامحَ دلاليَّةٍ، فالأب يطلق على الأبِ المباشرِ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: 4]، ويُطلق على الجدِّ وإن علا، كما في قول اللّه تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: 78].

وهذا الاستعمالُ مرتبِطٌ باتِّساع الأصلِ اللُّغويِّ لكلمة (أب)، وشُمولها لكُلِّ ما كان سببًا في وجود شيءٍ أو رِعايتِه أو ظهوره.

بخلافِ الوالدِ؛ فإنَّه في الاستعمالِ القرآني اقتصَرَ على معنى الأب المباشرِ الذي هو سبب وجود الابن، وفي أغلب المواضع القرآنيَّة ورَد بصيغَةِ التَّثنية للإيماءِ إلى أنَّ الأنثى هي الوالدَةُ حقيقةً، والأب مُلْحَقٌ بها.

وباستقراءِ الآياتِ التي وردَ فيها لفظُ (الوالِد) مُفْرَدًا أو مُثَنًّى، يدُلُّنا على دقَّة البيانِ القُرآنيِّ، حيث إنَّ لفظَ الوالد - وهو المُخْتَصُّ بالأبِ المُباشر - استُعمِلَ في سياقاتٍ تَقْتَضي قوَّةَ الرّابطة والعاطفة، كقول اللّه تعالى: ﴿*وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23]، وكما في قول اللّهِ سُبْحانَه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾، حيث إنَّ المقامَ مقامُ صلةٍ روحيَّة وعاطفيَّة بين الولدِ ووالدِه.

ولَم يَرِد لفظُ (الوالد) مجموعًا في القرآنِ الكريم مِمّا يُؤَيِّد أنَّ لفظَ (الوالِد) مختصٌّ بالأبِ المُباشِر دونَ غَيْرِهِ.

وحاصلُ ما تقدَّم: أنَّ القرآنَ الكريمَ راعى في استعمالِ الكَلِمَتَيْنِ المُتَقَدِّمتَيْنِ (الوالد) و(الأب) الملامحَ الدِّلاليَّة المُشْتَرَكة بينَهُما، وهي كونُهُما بِمَعْنى السَّبب، ودلالة كُلٍّ مِنْهُما على القَرابة.

كما مَيَّز القرآنُ الكريم بينَ اللَّفظين بدلالاتٍ فارقةٍ، فالمُمَيِّز لِلَفْظِ (الأب) دلالتُه على الأجدادِ، ودلالتُه على التَّربية والرِّعاية، بخلاف لفظ (الوالد)؛ فإنَّه يتميَّز باختصاصِهِ بالأب المباشِر، وذلك يقتضي قُوَّة الرّابطة والصِّلة العاطفيَّة[1].

الوَهن والضَّعْف:

الفرقُ بينَهُما مِن وجهين:

الضَّعْفُ أعَمُّ مِنَ الوَهنِ

أحدهما: أنَّ الوَهنَ أخصُّ مِنَ الضَّعْفِ، من جِهَة أنَّ الوَهنَ: أشَدُّ الضَّعْفِ[2].

الآخَرُ[3]: أنَّ الضَّعفَ ضدُّ القُوَّةِ، وهُوَ ذاتيٌّ جُبِلَ الضَّعيفُ عليهِ، يقال: خلقَ اللّهُ تعالى فلانًا ضعيفًا، أي: إنَّه طُبِعَ على الضَّعْفِ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: 28]، بخلاف الوَهنِ؛ فهو أن يفعلَ المَرْءُ فِعْلَ الضُّعَفاءِ، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: 139]، أي: لا تفعلوا فعلَ الضُّعفاءِ والحالُ أنَّكم أقوياءُ.

فالضَّعيفُ فيهِ ضَعْفٌ مِن أصل الجِبِلَّةِ، والواهِنُ مَن فَعَلَ فِعْلَ الضُّعفاءِ؛ لنقصٍ في إيمانِهِ أو عزيمَتِهِ.

(1) داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 26 - 27.
(2) النَّحَّاس، معاني القرآن: 1/ 491.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 115، والرَّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (وهن)، وعبد الجبار، الفروق اللُّغويَّة في القرآن الكريم: 680 - 683.

ولا يَلْزَمُ اجتماعُهما على وجهِ الاطِّراد، بَل قد يَنْفَرِدُ أحدُ الفَرْقَيْن، فإنَّ الوهنَ في قول الله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ هو الضَّعف الشَّديد، لا أن يَفْعَلَ المرءُ فِعْلَ الضُّعفاء؛ لأنَّ المُراد بالوهنِ الوهنُ الاضْطِراريُّ لا الاخْتياريُّ.

وفرَّق جماعةٌ مِنْ أهلِ العلم بينَهما؛ بأنَّ الوهنَ انكسارُ الجسَدِ ونحوِه، بخلاف الضَّعْف؛ فهو نقصانُ القوَّة[1]، والأوَّلُ أشهرُ.

السَّنَة والعام:

السَّنَةُ والعامُ بمَعْنًى مُتَقارِبٍ؛ إذْ كُلٌّ مِنْهما دالٌّ على مُدَّةٍ مَخْصُوصةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَسْتَغْرِقُ اثْنَيْ عشَرَ شهْرًا، إلّا أنَّهُ يُغايَرُ بينَهُما في غَلَبةِ الاسْتِعْمالِ.

غالِبُ اسْتِعْمالِ السَّنَةِ في الشِّدَّةِ وغالِبُ اسْتِعْمالِ العامِ في الخَيْرِ

فالغالِبُ اسْتِعْمالُ السَّنَةِ في الحَوْلِ الذي فيهِ الجَدْبُ والشِّدَّةُ، ولِذا يُطْلَقُ على الجدْبِ: السَّنَةُ، كما قالَ اللهُ سُبحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: 130]، أي: بالقَحْطِ والجَدْبِ.

والغالِبُ في لفظِ العامِ استعْمالُهُ في الرَّخاءِ والخَيْرِ والخَصْبِ[2]، ويَجْمَعُ ذِكْرَ العامِ والسَّنَةِ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 47 - 49]، فعُبِّر بالسِّنينَ عنِ زَمَنِ الاجْتِهادِ في الزَّرْعِ مَعَ عَدَمِ الاسْتِمْتاعِ الكاملِ بما حُصِدَ مِنْهُ؛ استِعْدادًا للأزمنةِ القادِمَةِ، ثُمَّ عُبِّرَ عنِ الأزْمِنَةِ الشِّدادِ بالسِّنينَ أيضًا في قولِهِ: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: 48]، أي: سَبْعُ سِنينَ؛ لحذْفِ التّاءِ في العَدَدِ، فذلكَ مُقْتَضٍ أنَّ مفرَدَ المعدودِ

(1) الجصَّاص، أحكام القرآن: 2/ 326.

(2) الرَّاغب، مفردات ألفاظ غريب القرآن الكريم: (عوم)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 368، والهرري، حدائق الرَّوح والريحان: 21/ 356.

مؤنَّثٌ، وهُوَ لفظُ سنَةٍ، ثُمَّ عُبِّر عَنِ الزَّمَنِ الذي يكُونُ فيه الفرَجُ بالعام، فقال سُبحانَهُ: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ [يوسف: 49].

وقدِ اجتَمَعَ ذِكْرُ العامِ والسَّنَةِ أيضًا في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: 14]، فعُبِّر بلفظِ السَّنَةِ؛ ذَمًّا لأيّامِ الكُفْرِ والتَّكذيبِ، وبلفظِ العامِ في الاسْتِثْناءِ؛ إيماءً إلى أنَّ زمَنَ حَياةِ نُوحٍ عليه السلام بَعْدَ إغْراقِهِمْ؛ كانَ عيشًا رَغيدًا واسِعًا حَسَنًا بإيمانِ المُؤمنينَ وخَصْبِ الأرضِ[1].

الإنابَة والتَّوْبَة والأوبَة:

الإنابَةُ والتَّوبة والأوبَةُ يَجْمَعُها معنًى كُلِّيٌّ تَرْجِعُ إليهِ، وهُو الرُّجوع، ثُمَّ إنَّ بعضَها أخَصُّ من بعضٍ.

الإنابَةُ أخَصُّ مِنَ التَّوْبَةِ والتَّوْبَةُ أخَصُّ مِنَ الأوْبَةِ

فالأوبَةُ أعَمُّها؛ إذ تَدُلُّ على مُطْلَقِ الرُّجوع، وأخَصُّ منْها: التَّوبَةُ؛ لاخْتِصاصِها بِصُدورِها عِنْدَ الذَّنْبِ، سواءٌ أكانَت رُجوعًا من العَبْدِ عَن المَعْصيَةِ إلى الطّاعة، أم قبولَ اللهِ سُبْحانه توبةَ عَبْدِه، أم ندَمًا على الذَّنب.

أمّا الإنابَةُ؛ فَهيَ رجوعٌ إلى اللهِ سُبْحانَهُ وإقبالٌ عليهِ وصدورٌ عَن أمرِهِ في كُلِّ قولٍ وفِعْلٍ، فاخْتُصَّتِ الإنابَةُ بدلالَةِ الإقْبالِ عَلى اللهِ تَعالى والصُّدور عن أمْرِه[2].

المَرْجِع والمَصير:

الفَرْقُ بينَهُما أنَّ المَرْجِعَ: انْقِلابُ الشَّيءِ إلى حالٍ قد كانَ عَلَيْها، بخلافِ المَصيرِ؛ فَهُو انْقِلابُ الشَّيءِ إلى خِلافِ الحالِ التي هُو عَلَيْها، نَحْوُ قولِهِم: صارَ الطّينُ خَزَفًا، ولا يُقال: رجَعَ الطّينُ خَزَفًا؛ لأنَّه لَم يَكُنْ قبلُ خَزَفًا.

اشْتِراكُ اللَّفْظَتَيْنِ في مُطْلَقِ انْقِلابِ الشَّيْءِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 404.

(2) داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 90 - 94.

ولا يَتَنافى هَذا معَ قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: 67 - 68] مع أَنَّهُم لَم يَكونوا قبلُ في الجَحيم حتّى يُقال: رَجَعوا إليها؛ لأنَّنا نقول: إنَّه رُوِيَ أنَّ أهلَ النّار يُورَدونَ الحَميمَ لِشُرْبِه، كَما تُوردُ الإبِلُ الماءَ، ثُمَّ يُرَدّون إليها، كَما يَدُلُّ لذلكَ قَوْلُ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: 44][1].

(1) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 492.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»